مقاربات تحليل الخطاب :

إن تحليل الخطاب هو غاية في عدم الاســـتقرار لوجوده في ملتقى العلوم الإنســـانية، من حيث توجد تحليلات للخطاب تغلب عليها الصـبغة الاجتماعية، وأخرى تغلب عليها الصـبغة اللسـانية، وثالثة تغلب عليها الصبغة النفسـانية ، ويضـاف إلى هذا التفريع ما بين التيارات من اختلافات، هكذا فإن تحليل الخطاب شـديد التأثر في الولايات المتحدة بالأنثروبولوجيا . وبغض النظر عما لهذا الباحث أو ذاك من اختيارات شـــخصـــية، فإنه توجد جاذبية طبيعية بين بعض العلوم الاجتماعية ، و بعض فنون تحليل الخطاب، بين الباحثين في الوسائط، و علم الاجتماع ، أو علم الاجتماع النفسي، و بين الدارسين للتحادث الانتروبولوجيا، و بين الدارسين للخطابات المؤسسة، والتاريخ أو الفلسفة .

وتحدث الدارسان – تتمة لهذا الموضوع–عن بعض الأقطاب الكبرى في تحليل الخطاب :

تنوعت مدونات تحليل الخطاب شـيئا فشـيئا ، إذْ نشـاهد سـقوطا شـاملا للحواجز بين البحوث، و يرجع هـذا إلى فتح الحوار بين مختلف الفنون التي تتنـاول الخطـاب، وبين مختلف تيارات تحليل الخطاب ، و مع ذلك باســتطاعتنا التمييز بين بعض الأقطاب الكبرى على النحو الآتي:

1– الأعمال التي تدرج الخطاب في تيار التفاعل الاجتماعي.

2– الأعمال التي تعطي مكانة خاصــة لدراســة وضــعيات التواصــل اللغوي و من ثمة لأجناس الخطابات .

3– الأعمال التي تربط بين الاشـــتغالات الخطابية وظروف إنتاج المعارف أو تموقعاتها الإيديولوجية.

4– الأعمال التي تعطي المكانة الأولى للتنظيم النصي، أو رصد سمات التلفظ .

بالإضافة إلى هذا، لا ترمي عديد البحوث المنتمية إلى تحليل الخطاب إلى تفهم انشغالات خطابية بالدرجة الأولى، وإنما تكتفي بدراســـة ظواهر محدودة جدا لوضـــع تأويلات لمدونات حســـاســـة إيديولوجيا ، و في هذه الحالة، فإن ما يوفره تحليل الخطاب من معلومات يوضـــع في

خدمة مرمى نضـاليّ، و هكذا فقد كان لمدرسـة السـتينات الفرنسـية مرمى نضـالي يعتمد نظرية للخطاب ذات منزع تحليلي نفسي ماركسي .

و أما تيار التحليل النقدي للخطاب الأحدث عهدا، فيهدف إلى دراسة أشكال السلطة التي تقوم من خلال الخطاب بين الأجناس و الأعراق و الطبقات الاجتماعية، قصد العمل على تطويرها (فن ديك 1993، و فوكو 1996) و لنذكرضـمن إطار نظري مغاير أعمال ج.أ سـرفاتي حول معاداة السـامية ؛إن هذا التمشـي يتعرض لتسـاؤل لا مفر منه :أفلا يتضـمن إبراز ما في النصوص من إيديولوجية أخرى لدى المحلل ؟...

إن هذا التمشي يتعرض لتساؤل لا مفر منه مُفاده: أفلا يتضمن إبراز ما في النصوص من إيديولوجية أخرى لدى المحلل ؟ (ويدروسن 1995. دي بقراند 1999) .

التصور الثالث:

تحدثت سارة ميلز في كتابها الموسوم بـــ"الخطاب "عن ثلاث فئات من أصحاب النظريات يختلف تعريف الخطاب عند كل منهما اختلافا طفيفا ، وهذه الفئات هي :فئة تحليل الخطاب ، و فئة علم النفس الاجتماعي ، و فئة الخطاب النقدي .

تتميز الفئة الأولى بانصـرافها إلى تحليل اللغة في السـياق ، و لا يعني هذا أنها تلتلقي مع نظرة ميشـــال فوكو للخطاب لأنه " في علم اللغة ، و لاســيما في تحليل الخطاب ، يســتعان بالخطاب في توصـــيف بنية تمتد إلى ماوراء حدود الجملة .و بالاســتعانة بقياس بنية الجملة و مكوناتها الداخلية (الفعل و الفاعل و المفعول أو الاسم و الفعل و المتمم) .هناك افتراض بأن العناصـر فوق مسـتوى الجملة تشـمل بنى مماثلة .و هذا المعنى للخطاب أوجده في المقام الاول لغويون يرتبط كثير منهم بالبحث في اللغة الأنجليزية في جامعة برمنجهام (...)حيث اوجدوا نمطا خاصـــا لتحليل الخطاب ، و هو تحليل البنى في العبارات المنطوقة أو النص المكتوب فوق مستوى الجملة "[1]

بينما تركز الفئة الثانية على الوحدات البنوية التي تتجاوز الجملة مع اهتمامها بقضـــايا السلطة ، و تحليل النص ،و قضايا جمع البيانات ، و الحوار . و تستقي هذه الفئة مناهجها من ميشـــال فوكو ،كما تســتعير مناهج الفئة الأولى.تقول ســارة ميلز عن هذا التيار :" و اعتمد

[1] -سارة ميلز: الخطاب ، ترجمة عبد الوهاب لعوب ، ص146.

باحثون في علم النفس الاجتماعي من أمثال جوناثان بوتر و مارغريت ويذرل و سيليا كيتسنجر و سو ويلكسون على المناهج التحليلية التي نشأت ضمن تحليل الخطاب و أيضا ضمن المنهجية العرقية و تحليل الحوار لإيجاد نوع من التحليل يحلل الكلام و لا سيما بنية النقاش " [2]

و تهتم الفئة الثالثة بقضايا السلطة ، و السياسة ، و الانفتاح على النقد الماركسي.و يشارك المنتمون لهذه الفئة أصحاب الرأى الأول حينما يتخذون من علم اللغة معيارا لأبحاثهم .كما أنهم متأثرون بأعمال فوكو في جانب كبير منها ،"يقولون إن اللغة أداة محورية في العملية التي تشكل الناس باعتبارهم أفرادا و ذوات اجتماعية ، و بما أن اللغة و الإيديولوجيامتداخلتان بصورة وثيقة ،فإن التحليل النظامي الدقيق للغة النصوص يمكن أن يكشف بعضا من جوانب النصوص و بصورة أعم الطريقة التي يقهر بها الناس في البنى الاجتماعية الراهنة "[3].

و تنتهي الدارسة إلى نتيجة ،و هي اهتمام أصحاب الفئات الثلاث بالخطاب الشفهي و المكتوب على حد سواء ،مع تباينهم في درجة الانتساب إلى علم اللغة ، أو علم النفس الاجتماعي ، أو النظرية الثقافية ما أثر على تحليلاتهم التي اختلفت اختلافا واضحا.

يمكننا من جهتنا أن ننتهي إلى نتيجة ، و هي أن التصورات السابقة لا تعكس حقيقة الدراسات التي تجري تحت اسم تحليل الخطاب، ولا تبين الصعوبة التي يجدها الدارس في التمييز بين المقاربات المختلفة له،و ربما يعود السبب إلى تداخل معارف الدارسين و تباين تخصصاتهم بالإضافة إلى تعدد المناهج المستخدمة في التحليل.و يمكن الإشارة في هذا المقام أن جون ميشال آدم **J.M.Adam** قد أحصى ست مقاربات في تحليل الخطاب ،و هي المقاربة اللغوية ،و المقاربة التفاعلية الحوارية ،و المقاربة العامة ، و المقاربة الأسلوبية ،و المقاربة النصية ،و المقاربة التواصلية.و تضم المقاربة اللغوية فقط عديد التيارات و الاتجاهات ،و من أشهرها مقاربة التحليل السيمائي للخطاب السردي و التي سنخصص بحثا مستقلا ، كما تضم مقاربات التحليل البنوي للخطاب السردي و التي خصصنا لها مطبوعة مستقلة بعنوان تحليل الخطاب و السرديات.

---

[2] -المرجع السابق ، ص146.

[3] -المرجع نفسه :ص148.

إجمالا يمكن أن نتحدث عن الطرح السابق الذي حصر تحليل الخطاب في ثلاث مقاربات (المقاربة اللسانية ، و المقاربة الاجتماعية و المقاربة المباشرة)، و هو الأكثر انتشارا و تداولا ، و هو يتردد بصور مختلفة في الكثير من الدراسات و تحت مسميات كثيرة –كما رأينا–، و لعل ذلك يعود إلى اختلاف المنطلقات المنهجية و المعرفية لدى الدارسين .